

فضل العقل السليم الموصوف بالانقياد والتسليم

لأبي اليمان
عدنان بن حسين المصقري

مكتبة دار الحديث

بالعمود

حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى

1442

مَكْتَبَةُ دَارِ الْحَدِيثِ

بِالْعَمُودِ

مَسْجِدُ السُّنَّةِ

بِمَارِبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

وسلم. أما بعد:

فإن الله تعالى كرم عباده بالعقل وميزهم به على سائر المخلوقات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ

مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

وجعلهم يميزون به الحق من الباطل والشرك من التوحيد والسنة

من البدعة والصحيح من الضعيف والهدى من الضلال والهوى من

الهدى، فمن كان عقله سليماً كان دينه مستقيماً ومن كان عقله راجحاً

قبل هدى الله الذي أرسل به رسله ومن كان عقله فاسداً جعله تبعا

لهواه مخالفاً لهده، والله المستعان.

فمن حكم هواه وقدم شهوته على الحق والدين والكتاب والسنة

فقد أفسد دينه وعقله.

ومن حكم دينه الله وقدم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على عقله فقد أصلح دينه ووافق العقل السليم، لأن العاقل هو من ينظر إلى عاقبة أمره ومن يعقل ويفهم ما أمامه فيختار لنفسه السعادة الأبدية والحياة الطيبة في الدارين قال الله تعالى عن الكفار ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم﴾.

واعلم أن الذي يرد أدلة الكتاب والسنة بحجة أن العقل لم يقبلها أنه حكم شهوته وهواه قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]

فهذه بعض الأدلة العقلية والنقلية التي تبين أن العاقل هو الذي يرضي ربه ويهزم شيطانه ويعصي نفسه الأمارة بالسوء ليفوز بخير الدنيا والآخرة، كتبتها تلبية لطلب شيخنا يحيى بن علي حفظه الله وعافاه وعافى أهله وأباه، إذ دلنا في أحد دروسه وتمنى لو كتب كاتب في فضل العقل السليم، والله الموفق.

كتبه: أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري 14 / 1 / 1442 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف العقل

قال صاحب اللسان: العقل الحجر والنهي . ضد الحمق والجمع عقول .

وقال ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه.
وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذ من قوله قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: والعقل هو ما يحجز الإنسان عن فعل ما لا ينبغي؛ وهو خلاف الذكاء؛ فالذكاء هو سرعة البديهة، والفهم؛ وقد يكون الإنسان ذكياً، ولكنه ليس بعاقل. اهـ كما في المجموع من كتبه [174 / 27].

والتعقل الثبت في الأمور. والعقل القلب . والقلب العقل . وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك. أي يحبسه.
وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قال : العقل غريزة.

قال القاضي : ومعنى قوله غريزة أنه خلق لله تعالى ابتداءً وليس باكتساب للعبد خلافاً لما حكى عن بعض الفلاسفة أنه اكتساب.

اهـ من تلبس إبليس (ص 3).

وقال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله: اختلف الناس في العقل ما هو فقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات. العدة في أصول الفقه (1 / 83 - 86).

اهـ التعريفات 157 والمسودة 556 وغيرها.

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: وقال بعضهم العقل على ثلاثة أوجه عقل مولود مطبوع وهو عقل ابن آدم الذي به فضل على أهل الأرض وهو محل التكليف والأمر والنهي وبه يكون التدبير والتميز . اهـ الحجة في بيان المحجة: (1 / 320).

وقال ابن الجوزي: إن أعظم النعم على الإنسان العقل. لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل.

وقال النسفي: هو قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات.

وقال شيخ الإسلام: العقل في لغة العرب يتناول العلم والعمل بالعلم جميعاً ومن أهل الكلام من يجعله اسماً لنوع من العلم فقط فيقول هو نوع من العلوم الضرورية ومن الناس من يريد به العمل بالعلم كما ذكره أبو البركات . وقد يراد بالعقل القوة التي في الإنسان وهي الغريزة التي بها يحصل له ذلك العلم والعمل به ولهذا كان في كلام السلف كأحمد والحارث المحاسبي وغيرهما اسم العقل يتناول هذه الغريزة. الصفدية (2/ 257) .

وقال في موضع آخر: العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً وهو أيضاً غريزة في الإنسان فسماه من باب الأعراض. الرد على المنطقيين (196) .

وقال ((العقل قد يراد به القوة الغريزية في الإنسان التي بها يفعل وقد يراد به نفس أن يعقل ويعي ويعلم فالأول قول الإمام أحمد وغيره من السلف : العقل غريزة والحكمة فطنة. والثاني قول طوائف من

أصحابنا وغيرهم : العقل ضرب من العلوم الضرورية . وكلاهما صحيح فإن العقل في القلب مثل البصر في العين يراد به الإدراك تارة ويراد به القوة التي جعلها الله في العين يحصل بها الإدراك. فإن كل واحد من علم العبد وإدراكه، ومن علمه وحركته حول . ولكل منهما قوة ولا قوة إلا بالله)) الاستقامة (2 / 161).

باب الألفاظ المرادفة للعقل

يرد العقل بمعنى: اللب، والحِجْر، والنُّهى، والحلم، والحجى.

ورود العقل في القرآن:

عقلوه : وردت في موضع واحد من القرآن .

تعقلون : وردت في أربعة وعشرين موضعاً من القرآن .

نعقل : وردت في موضع واحد من القرآن.

يعقلها : وردت في موضع واحد من القرآن .

يعقلون : وردت في اثنتين وعشرين موضعاً من القرآن .

العقل السليم يدل على التحاكم إلى الكتاب والسنة ومخالفة
الهوى

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

[القصص: ٥٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
النساء: ٦٥

وقال الشيخ الفوزان: فمن رد حكم الكتاب والسنة، واعترض على
ذلك، وذهب إلى العقل والتفكير صار من الكافرين؛ لأن الإيمان
بالكتاب والسنة هما ركنان من أركان الإيمان.

والمتشدقون من بعض العصريين العقلانيين الذين يقولون: حتى لو
صحَّ الإسناد فهذا لا يدل على صحة المتن، وينتقدون أحاديث في
"صحيح البخاري" صحَّت أسانيدها لأنها تخالف عقولهم القاصرة.

وهذا لجهلهم، أو لتجرّئهم على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يخالف أهواءهم ويخالف عقولهم.

يا سبحان الله! كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخضع للعقول، إنه يجب على من يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يقدم قوله ويعتقده ويعمل به بدون مناقشة، وبدون جدال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

قال الشيخ الفوان رحمه الله: ومن معنى شهادة أن محمداً رسول الله: تصديقه فيما أخبر. فمن لم يصدق ما أخبر به وإنما يخضعه لهواه، ويخضعه لقواعده المنطقية أو العقلية أو للعلم الحديث - كما يسمّونه -؛ فهذا كأنه لم يؤمن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأمر خطيرٌ جداً، مع العلم أن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فإن اختلفا ففي أحدهما خلل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقوله: "يذهبون إلى رأي سفيان" يعني: يتركون ما صحَّ به الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذهبون إلى رأي سفيان، وهو الإمام الجليل الفقيه الزاهد المتقن، سفيان بن سعيد الثوري، كان فقيهاً، محدثاً، وله اجتهاد، وله مذهب في الفقه، لكنه انقرض بسبب أنه لم يكن له أتباع يحفظونه ويتدارسونه كما كان للأئمة الأربعة.

اهـ من مجموع صالح بن عبدالله الفوزان .

باب العقل الصحيح يعرف المعروف وينكر المنكر ولا يخالف الشرع

ورى مسلم في صحيحه (144) عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم نحن سمعناه فقال لعلمكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ولكن أيكم سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موج البحر قال حذيفة فأسكت القوم فقلت أنا قال أنت لله أبوك قال حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا

فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز
مجنحيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه».

عن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: «الإثم ما حاك
من نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

أخرجه مسلم في الأدب/ باب تفسير البر والإثم (2553).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: أيها الناس اتقوا الله تعالى
واحمدوه على ما وهبكم من العقول التي بها تعقلون الأمور وتدركون وبها
تميزون بين الحق والباطل وتحكمون فالعقل من أكبر نعم الله على العبد
إذا استعمله فيما هو له من التعقل والنظر والتفكير والتروي في الأمور
وعدم التسرع في التصرف والتدبير ولقد جاءت الكتب السماوية مؤيدة
لذلك فأتت بالموازنة بين الأشياء والحكم عليها بالعدل والمساواة بالأدلة
والبيّنات قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. المجموع [200 / 20]

قال محمد بن صالح العثيمين [139 / 19] والمنكر ما أنكره الشرع
والعرف، والعبرة بإنكار الشرع، فما أنكره الشرع منكر ولو أقره العرف؛
لأن بعض الأعراف - والعياذ بالله - تقرر المنكرات، وما أنكره الشرع فالعقل
السليم والعرف السليم ينكره، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«الإثم ما حاك من نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»، لأن الناس ينكرونه، وهذا في أناس فطرهم سليمة، ومناهجهم مستقيمة. اهـ من المجموع.

باب تعلق العقل بالقلب

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

وقال القاضي أبو يعلى: محل العقل القلب ذكره أبو الحسن التميمي في كتاب العقل فقال: الذي نقول به أن العقل في القلب يعلو نوره إلى الدماغ فيفيض منه إلى الحواس ما جرى في العقل. ومن الناس من قال: هو في الدماغ.

وقد نص أحمد رحمه الله على مثل هذا القول فيما ذكره أبو حفص ابن شاهين في الجزء الثاني من أخبار أحمد بإسناده عن فضيل بن زياد وقد سأل رجل عن العقل أين منتهاه من البدن؟ فقال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: العقل في الرأس أما سمعت إلى قولهم: وافر الدماغ

والعقل واحتج هذا القائل بأن الرأس إذا ضرب زال العقل . ولأن الناس يقولون: فلان خفيف الرأس وخفيف الدماغ ويريدون به العقل . وهذا غير صحيح لقوله تعالى : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ وأراد به العقل فدل على أن القلب محله . لأن العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان بسبب منه . واحتج أبو الحسن التميمي بقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.

وقال النووي في شرحه لحديث «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

قال: واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور مذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين أنه في القلب.

وقال أبو حنيفة: هو في الدماغ وقد يقال في الرأس وحكوا الأول
أيضاً عن الفلاسفة والثاني عن الأطباء .

قال المازري واحتج القائلون بأنه في القلب بقوله تعالى : (أفلم
يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقوله تعالى : (إن
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وبهذا الحديث فإنه - صلى الله
عليه وسلم - جعل صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ
من جملة الجسد فيكون صلاحه وفساده تابعاً للقلب فعلم أنه ليس
محلّاً للعقل)). شرح مسلم (11 / 29).

هل ثبت في العقل دليل

أما في القرآن فلا شك أن كثيرا من الآيات تدل على فضل العقل والتعقل وكذلك في السنة وأيضا آثار السلف.

وقد قال بعض العلماء لم يثبت فيه حديث وأرادوا الحديث الصحيح والصريح في فضل.

قال الفيروز آبادي: العقل وفضله لم يصح فيه شيء.

قال شيخنا يحيى الحجوري [25 / 9] قال ابن القيم الجوزية في كتابه نقد المنقول (ص 60) «فصل: أحاديث العقل كلها كذب».

وقال الحافظ في المطالب العالية (3 / 13): أحاديث العقل كلها موضوعة، لا يثبت منها شيء.

وقال الموصلي في المغني (6): قال العقيلي لا يثبت في هذا المتن شيء، وقال أبو حاتم أي ابن حبان-: ليس عن النبي؟ خبر صحيح من العقل.

قلت: قد ساق منها الحارث في مسنده جملة كبيرة كما في بغية الباحث للهيثمي (255) وما بعدها من الباب وكلها ضعاف، لكن أدلة فضل العقل غير النصوص في ذلك كثيرة، من القرآن وصحيح السنة. اهـ

آثار السلف في فضل العقل

روى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص 22] عن معاوية بن قرة قال: جالسوا وجوه الناس فإنهم أحلم وأعقل من غيرهم. وسنده صحيح.

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص 24]: عن الشعبي عن مسروق قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر الحسب فقال: حسب المرء دينه وأصله عقله ومروءته خلقه. وسنده ضعيف.

روى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص: 25]: عن مجاهد: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ قال: الأيدي القوة والأبصار العقل. وسنده صحيح.

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص 34]. عن عمران بن خالد قال : سمعت الحسن يقول ما يتم دين الرجل حتى يتم عقله. العقل وفضله». وسنده صحيح.

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص 54]: عن محمد بن سيرين قال : كانوا يرون حسن السؤال يزيد في عقل الرجل. وسنده صحيح.

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص 56]: عن يونس بن عبيد قال : قال ميمون بن مهران : التودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم. وفيه من لا يعرف.

وقال: قيل لبعض الحكماء: ما العقل ؟ قال أمران أحدهما صحة الفكر في الذكاء والفطنة والآخر حسن التمييز وكثرة الإصابة . العقل وفضله [ص 62].

وروى ابن أبي الدنيا قال: وقيل لبعض الحكماء: أوصنا بأمر جامع
 قال: احفظوا وعوا أنه ليس من أحد إلا ومعه قاضيان باطنان أحدهما:
 ناصح والآخر: غاش فأما الناصح فالعقل وأما الغاش فالهوى وهما
 ضدان فأيهما ملت معه وهي الآخر. العقل وفضله [ص 62]

وروى ابن أبي الدنيا قال: عن محمد بن سيرين قال: كانوا يرون
 حسن السؤال يزيد في عقل الرجل». **بسند صحيح**. العقل وفضله [ص
 54].

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص: 56]: عن ميمون بن
 مهران: التودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف العلم.
بسند صحيح.

وروى ابن أبي الدنيا في العقل وفضله [ص: 57]: عن مجاهد: ﴿
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال: أولي العقل
 والفقهاء في دين الله عز وجل. **بسند صحيح**

وروى ابن أبي الدنيا قال: وقيل لبعض الحكماء: ما العقل؟ قال
أمران أحدهما صحة الفكر في الذكاء والفطنة والآخر حسن التمييز
وكثرة الإصابة». العقل وفضله [ص 62]

وروى ابن أبي الدنيا قال: وقيل لبعض الحكماء: أوصنا بأمر جامع
قال: احفظوا وعوا أنه ليس من أحد إلا ومعه قاضيان باطنان أحدهما:
ناصح والآخر: غاش فأما الناصح فالعقل وأما الغاش فالهوى وهما
ضدان فأيهما ملت معه وهي الآخر.

العقل وفضله [ص 62]

باب مخالفة القول بالفعل ليس من العقل

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

قال القرطبي⁽¹⁾: «اللبس الخلط، وقد تقدم في البقرة. ومعنى هذه الآية
والتي قبلها معنى ذلك.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ ويجوز «تكنموا» على جواب الاستفهام.

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (4/ 111).

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة في موضع الحال.

قال ابن كثير ⁽¹⁾: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) أي: تكتُمون ما في كتبكم من صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

قال الطبري ⁽²⁾: «ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه. وأصله من «انحراف الشيء عن جهته»، وهو ميله عنها إلى غيرها. فكذاك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه. فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون».

(١) «تفسير ابن كثير» (59/1).

(٢) «جامع البيان» (249، 248/2).

قال ابن كثير ⁽¹⁾: «وقال السدي: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: هي التوراة، حرفوها.

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق.

فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: مبلغا إليه؛ ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه.

وقال مجاهد: الذين يحرفونه والذين يكتُمونه هم العلماء منهم.

وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم، من نعت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحرفوه عن مواضعه.

وقال السدي: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم أذنبوا. وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا؛ إذا جاءهم المحقق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 307، 308).

جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء، أمروه بالحق».

باب أهل التوحيد هم أهل العقول هم وأهل الشرك لا عقول لهم

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 21)]: «قال ابن عباس: «وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر»، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا والكفار بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء لأنه لا خير عنده فهل يستوي الرجال عند أحد من العقلاء؟».

والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسبا بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) فَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) [النحل].

ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ﴾ ومن لوازم هذا المثل وأحكامه: أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقا حسنا والكافر المشرك

كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه، فذكره ابن عباس منبها على إرادته لأن الآية اختصت به فتأمله فإنك تجده كثيرا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن، فيظن الظان أن ذلك معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله.

فصل: وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضا، فالصنم الذي يعبدون من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة؛ والله سبحانه حي قادر متكلم ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاوروه فيه عن يمينه على منابر من نور.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا

يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت]

قال الحافظ ابن كثير (6/ 279): «ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلعون منه».

وقال ابن جرير الطبري (20/ 39): «وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر، ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول: نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس، كما قال الأعشى:

هَلْ تَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمَصَ إِذْ
تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلًا

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ بالله وآياته».

وقال البغوي (6/ 243): «﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ الأشباه والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نبينها، ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: لكفار مكة، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله».

قال الشوكاني رحمه الله (5 / 443): «وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴿١٣﴾ أي هذا المثل، وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيهاً لهم، وتقريباً لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه».

باب قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١٣﴾﴾

أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه»

[العنكبوت: 41]

قال الطبري رحمه الله (20 / 38): «يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿أَتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يكنها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ [كما في «شرح الأمثال» (ص 13)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فذكر سبحانه أنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) ﴿[مریم]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ﴾ (٧٥)﴾ [يس].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (6 / 279): «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها.

ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم.

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

﴿٤٣﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه».

باب أمر الله لأهل العقول بالتقوى والبعد عن المعاصي

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَمَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بَتَاهَا عَذَابًا نُكَرًا (فَصَدَّهُمْ) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (عَنِ) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: 8 - 10].

ومما لا شك فيه أنه لا يتجرأ على المعاصي والمخالفات والبدع والشهوات والشبهات إلا من حرم العقل واللب الصحيح. لأنه يقدم شهوة نفسه على مرضات ربه .

ولأنه يقدم متعة لحظة قد تحرمه الجنة على نعيم دائم.

وقد ذكر الله عن النسوة الاتي قطعن أيديهن بعد ذهاب عقولهن بسبب ما وقع فيهن من الشهوة.

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)﴾.

قال أبو جعفر الطبري [16 / 85]: يقول تعالى ذكره: قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل وعُزوب الفهم وَلَهَّاءُ، أَلِهْتُنَّ حَتَّى قَطَعْتُنَّ أَيْدِيَكُنَّ، هو الذي لمتنني في حبي إياه، وشغف فؤادي به، فقلتن: قد شغف امرأة العزيز فتاها حُبًّا، إنا لنراها في ضلال مبين! ثم أَقَرَّتْ لَهْنَهَا قَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ .

باب أهل العلم الراسخون هم أهل العقول البعيدون عن الشبهات والبدع

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا شَابَهَتْهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

وقال البخاري (4547) ومسلم رحمهم الله: (2665) حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري عن

عبدالله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : تلا رسول ﷺ ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمانا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [3 / آل عمران / 7] قالت قال رسول ﷺ : «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم».

وقال أحمد بن حنبل (6 / 48) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا إسماعيل قال أنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة به . بلفظ : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عز و جل فاحذروهم .

وقال أحمد بن حنبل : (ج 6 / ص 256) (26240)

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا يزيد بن إبراهيم عن بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة به .

وقال أبو داود (2 / 609) (4598) حدثنا القعنبي ثنا يزيد بن إبراهيم
التستري عن عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة
رضي الله عنها به.

وقال الترمذي (5 / 223) (2994) .

حدثنا عبد بن حميد أخبرنا أبو داود الطيالسي حدثنا يزيد بن إبراهيم
حدثنا ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة به.
ومن العجب أن تجد من يحسن البدعة لأهلها ويقول إن العقل
استحسنها، وهذا والله ضلال بعيد.

وقد نقل الإمام الشاطبي في الاعتصام: أن العز بن عبد السلام نقل
الإجماع على أن كل بدعة ضلالة ثم قسمها إلى خمسة أقسام وتبعه في
ذلك تلميذه العلامة القرافي ومن جاء بعدهما من العلماء ونظر في
تقسيمها وأجاب بما حاصله أن البدعة إما أن تكون حسنة أو سيئة فإذا
كانت سيئة فأمرها ظاهر وإن كانت حسنة فمن المحسن لها إن كان
الشرع فليست ببدعة وإن كان العقل فليس بمذهب أهل السنة

والجماعة وأصحاب الحديث إنما هو قول المعتزلة وأطال في ذلك وأطاب فعليك به فإنه أنفس كتاب ألف في السنة والبدعة - وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل فعليك إذا سمعت من يقول هذه بدعة حسنة بالقيام في مقام المنع مسنداً له بهذه الكلية وما يشابهها من نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم " كل بدعة ضلالة " طالباً لدليل تخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته وإن كاع كنت قد ألقمته حجراً واسترحت من المجادلة .

نقله الإمام الشوكاني كما في المجموع [5 / 166]

وروى الإمام الدرامي قال السنن (1 / 120): أخبرنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. وصححه شيخنا يحيى في تعليقه على السنن.

وروى عن سلام بن أبي مطيع أن رجلا من أهل الأهواء قال لأيوب السخثياني يا أبا بكر أسالك عن كلمة قال فولى أيوب وجعل يشير بإصبعه ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة .

وعن يحيى بن أبي كثير قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره .

وروى الآجري عن سعيد بن عامر قال سمعت جدتي أسماء تحت قالت: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك قال لا قال: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل قال: لتقومن عني أو لأقومن فقام الرجلان فخرجا . وسنده صحيح .

وروى الآجري رحمه الله بسنده إلى أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال: والذي نفس أبي الجوزاء بيده لان تمتلئ داري قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني وجل منهم ولقد دخلوا في هذه الآية هانتهم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم .

وروي بسند صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

وهو في الصحيح المسند لشيخنا الوادعي رحمه الله.

وروى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة» .

وروى الدرامي بسند صحيح عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: هي البدع والشبهات .

ومروى الآجري في الشريعة عن سفیان الثوري قال : اتقوا هذه الأهواء المضلة إلخ.

ومروى عن أيوب في سنن الدارمي : (لِلشَّمْسِ لِلشَّمْسِ مِنْ)

ومروى الدارمي عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال: "إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلا النار فجربهم فليس

أحد منهم ينتحل قولاً أو قال حديثاً فيتناهى به الأمر دون السيف وإن النفاق كان ضروباً ثم تلا (ومنهم من عاهد الله) (ومنهم من يلزمك في الصدقات) (ومنهم الذين يؤذون النبي) فاختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب وإن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف ولا أرى مصيرهم إلا النار قال حماد ثم قال أيوب عند ذا الحديث أو عند الأول وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب يعني أبا قلابه. وسنده صحيح.

ومروى الآجري في الشريعة أيضاً عن يحيى بن أبي كثير قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره .
وسنده صحيح.

وروى الدارمي (391) قال : أخبرنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال قال أبو قلابه : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

وإسناده صحيح

وقال: [393] أخبرنا أبو عاصم أنا حيوة بن شريح حدثني أبو صخر عن نافع عن بن عمر : انه جاءه رجل فقال أن فلانا يقرأ عليك السلام قال بلغني انه قد أحدث فإن كان أحدث فلا تقرأ عليه السلام.

وقال: [392] أخبرنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: رأني سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب فقال لي ألم أرك جلست إلى طلق بن حبيب لا تجالسنه.

وروى الدارمي (1 / 120) وقال: [391] أخبرنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال قال أبو قلابه : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. وإسناده صحيح.

وقال : (401) أخبرنا أحمد ثنا زائدة عن هشام عن الحسن وابن سيرين انهما قالا : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم .

واسناده صحيح .

وقال الإمام مالك رحمه الله: بسّ القوم أهل البدع لا نسلم عليهم .

فبهذه الأدلة القاطعة يجب على كل مسلم عاقل يريد الله والدار الآخرة ويريد أن يسلم دينه من الشك والتخبط أن يعرف أهل الحق من أهل الباطل وأهل السنة من أهل البدعة وأهل التوحيد من أهل الشرك وأهل العلم من أهل الجهل وبما أنه قد طلب مني شيخي أن اكتب شيئاً يتبصر به مريد الحق ويعرف المسلم علامات أهل البدع الذين هجرهم واجب والبعد عنهم محتم، فذكرت بعض علامات أهل البدع والله المستعان على كل مقصود.

باب الأنبياء هم أهل العقول

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي

الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾

قال أبو جعفر ابن جرير : يعني تعالى ذكره بقوله: "أولئك"، هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله، نوحًا وذريته الذين هداهم لدين الإسلام، واختارهم لرسالته إلى خلقه، هم "الذين آتيناهم الكتاب"، يعني بذلك: صحف إبراهيم وموسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين = "والحكم"، يعني: الفهم بالكتاب، ومعرفة ما فيه من الأحكام. وروي عن مجاهد في ذلك ما:-

قال الطبري [11 / 514] وعنى بذلك مجاهد، إن شاء الله، ما قلت، لأن "اللب" هو "العقل"، فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب، وهو بمعنى ما قلنا أنه الفهم به.

وقال ابن جرير في تفسيره: (16698) [14 / 238] أعظم خطيئة ووزراً، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء. وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور

رمضانَ والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظّموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل.

ومن صفات العقلاء أنهم يستمعون فيعملون

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 18].

باب شر المخلوقات من لا يعقل أمر الله بسبب إعراضه

قال الإمام البخاري رحمه الله: [8 / 456] بَابُ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قَالَ

هُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

باب الكفار لا يعقلون شيئاً

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ

أَبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

دُعَاءَ وَبَدَاءِ صُمُّكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]

أصحاب اللب هم أصحاب العقول

وهم الذين يتفكرون في خلق الله

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]

قال الإمام مسلم رحمه الله: [4 / 2322] 4569 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ

أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

نَمِرٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَتُّ عِنْدَ خَالَتِي

مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ

فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾ ثُمَّ
قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْنَ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ فَصَلَّى
رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ.

قال الإمام البخاري رحمه الله: [6215] حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي شَرِيكٌ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا
فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ أَوْ بَعْضُهُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنْ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ﴾، ورواه مسلم.

قال الطبري في تفسيره [87 / 3] وأما تأويل قوله: "يا أولي
الألْبَابِ"، فإنه: يا أولي العقول. "والألْبَابِ" جمع "اللب"، و"اللب"
العقل وخص الله تعالى ذكره بالخطاب أهل العقول، لأنهم هم الذين
يعقلون عن الله أمره ونهيه، ويتدبرون آياته وحججه دون غيرهم.

باب خلق الآيات الكونية رجاء أن يعقل الناس

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 72، 73]

باب بين الله آياته ليعقل الناس

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَمْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17]

باب اليهود حرفوا كتابهم بعد ما عقلوه

قال الله تعالى: ﴿أَقْطَعُكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ

يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]

باب شر الدواب من لا يعقل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ

وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

(21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ

عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
[الأنفال: 20 - 23].

باب الذكرى لأهل العقول

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

قال الطبري رحمه الله: (2080) حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: "والحكمة" قال، "الحكمة"، الدين الذي لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم، يعلمهم إياها. قال: و"الحكمة"، العقل في الدين وقرأ: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [سورة البقرة: 269]، وقال لعيسى، (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) [سورة آل عمران: 48] قال، وقرأ ابن زيد: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) [سورة الأعراف: 175] قال، لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة. قال: "والحكمة" شيء يجعله الله في القلب، ينور له به.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: 19]

هو أعمى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الرعد: 19]

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52]

وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [إبراهيم: 52]

وقال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]

أُولُو الْأَلْبَابِ [ص: 29]

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ

الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]

باب التفكير في مخلوقات الله من صفات عقلاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتُصْرِفُ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْحَرِينَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164]

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي
الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: 21]

وقال الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَيْتُونٌ
وَخَيْلٌ صَيَّوْنٌ وَغَيْرُ صَيَّوْنٍ يَسْتَوِي بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [الرعد: 4]

وقال الله تعالى: ﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالثَّهَامَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَحَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [النحل: 12]

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا
وَمِرْسًا فَحَسْبًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [النحل: 67]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ [العنكبوت:

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: 24]

وقال الله تعالى: ﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

(2) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا

يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ

آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: 1 - 5]

باب يبين الله لعباده آياته لعلمهم يعقلون

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: 242].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ

التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65]

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا

يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

صُدُّوهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنَّ كُتُبَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ [آل عمران:

[118].

باب الاستهزاء بالدين وأهله من صفات الذين لا يعقلون

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 58].

باب الذين يفترون على الله الكذب لا يعقلون

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 103]

باب أمر الله عباده بتعقل آياته

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10]

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: 151] .

قال الشيخ صالح بن عبد الله الفوزان كما في مجموع كتبه: [55/ 33]
(ذَلِكَكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (لَعَلَّكُمْ) هنا تعليلية، أي:
لأجل أن تعقلوا؛ والعقل معناه: الكفُّ عما لا يجوز؛ سُمي العقل عقلاً لأنه يكفُّ
الإنسان عن الأشياء التي لا تليق، كما أن العقال للبعير يمنعه عن الضياع كذلك
العقل، وهو خلقُ جعله الله في الإنسان يمنع من تعاطي ما لا يجوز .

وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون: 80]

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: 60 - 62] .

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ نَعَّمْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

[يس: 68].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109]

باب أمر الله عباده بالتعقل في أمر الدنيا وعدم الفتنة بزينتها

قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60].

وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ
عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ أَلَمْ

يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ [الأعراف: 169].

باب أهل الدنيا لا يعقلون

وروى البخاري رحمه الله: (1407) عن الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى مَلَأٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةٍ تَذِي أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْصِ كَتِفِهِ وَيُوضَعُ عَلَى نُغْصِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةٍ تَذِيهِ يَتَزَلُّزَلُ ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ فَقُلْتُ لَهُ لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ قَالَ إِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا .

قال الإمام البخاري رحمه الله: (1408) قَالَ لِي خَلِيلِي قَالَ قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَبْصِرُ أَحَدًا قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ

ذَهَبًا أَنْفَقَهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا
لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ.

باب أمر الأنبياء أممهم بالتعقل

لا شك أن أعقل الناس هم أنبياء الله ورسله ولم يأمرُوا إلا بما وافق
العقل ولذلك كانوا يأمرُون أممهم بالتعقل والنظر في عواقب الأمور.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ
بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُتِّعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ
إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (لَهُمْ مِنْ) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَذْكُرُ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[يونس: 15، 16]

قال الله تعالى عن موسى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ

كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]

وقال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِكَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 67]

وقال الله تعالى عن هود: ﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُقْسِرُونَ (لَشَتَّى لَهُمْ) يَا قَوْمِ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 50، 51]

قال الله تعالى عن لوط: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (اللَّهُ اللَّهُ مِنْ) إِذْ بَجَّيْنَاهُ

وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (وَزَيْنَ اللَّهُ مِنْ) إِلَّا عَجُونًا فِي الْغَائِرِينَ (لَهُمُ اللَّهُ مِنْ) ثُمَّ دَمَرْنَا

الْآخِرِينَ (الشَّيْطَانُ اللَّهُ مِنْ) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِحِينَ (أَعْمَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ)

وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: 133 - 138]

باب جعل الله الرجس على من لا يعقل

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى

الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 100]

باب الذي لا يسمع الحق من لا يعقل

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 42].

باب جعل الله القرآن عربيا حتى يعقله الناس

قال الله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 1، 2].

باب يعلمنا الله دينه لنعقل

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: 61].

وقال الله تعالى: ﴿حَم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 1 - 3]

باب الكفار لا يعقلون

قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]

باب أكثر الناس لا يعقل توحيد الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 63].

باب يفصل الله الآيات ويضرب الأمثال لمن يعقل

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الروم: 28
- 30] .

باب جعل الله حياة الإنسان إطوارا ليعقل ما أمامه
قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ
عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ
مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:
67].

باب قلة عقل من لا يتأدب مع المعلمين
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4].

باب ضعف عقول اليهود

قال الله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]

باب اعتراف الكفار أنهم ما كانوا يعقلون في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10، 11].

باب حث أهل العقول على إقامة الحدود

قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وخص جل ذكره بالخطاب بذلك أولي الألباب، لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل، وأهل الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك وبالألباب

تفهم، ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل في الخطاب بذلك حظاً، إذ كانوا أشباحاً كالأنعام، وصوراً كالبهائم، بل هم منها أضل سبيلاً.

و"الألباب": جمع "لب"، وهو العقل.

باب الاعتبار لأهل العقول

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13]

باب أمر الله أهل العقول بالتقوى

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرُهُ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 197].

قال الطبري في تفسيره [3 / 383] قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: واتقون يا أهل العقول والأفهام بأداء فرائضي عليكم التي

أوجبتها عليكم في حجكم ومناسككم وغير ذلك من ديني الذي شرعته لكم = وخافوا عقابي باجتناّب محارمي التي حرمتها عليكم، تنجوا بذلك مما تخافون من غضبي عليكم وعقابي، وتدركوا ما تطلبون من الفوز بجناتي.

باب الاعتبار لأهل العقول

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

باب الآيات لا ينتفع بها إلا أهل العقول السليمة

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 53، 54]

قال الطبري [331 / 18] ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: أي من هذه الأمة،

يعني بذلك القلب: القلب الحيّ.

وروى عن قتادة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) قال: من كان له قلب من هذه

الأمة.

وروى بسند صحيح عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لِمَنْ

كَانَ لَهُ قَلْبٌ) قال: قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب

الله بها من عصاه من الأمم. والقلب في هذا الموضع: العقل. وهو من

قولهم: ما لفلان قلب، وما قلبه معه: أي ما عقله معه. وأين ذهب

قلبك؟ يعني أين ذهب عقلك.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه

عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا

بهم حين كفروا بربهم، وعصوا رسله (وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول: وهو متفهم

لما يخبر به عنهم شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساه.

وقال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: 44].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 128].

باب الذكرى لأهل العقول

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 43].

باب الهداية بالقرآن لأهل العقول

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

الْكِتَابَ * هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: 53، 54]

لا يعتبر بالقسم إلا أصحاب العقول

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾ [الفجر: 1 - 5].

قال الطبري رحمه الله: [403 / 24] حدثني يونس، قال: أخبرنا

ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾

(قال: لذي عقل، وقرأ: (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) و (لأولي الأبَاب) وهم

الذين عاتبهم الله وقال: العقل واللُّبُّ واحد، إلا أنه يفترق في كلام

العرب. إسناده صحيح.

وقال رحمه الله " حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن

قتادة، في قوله: (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ) لذي حِجَى، لذي عقل

ولُبِّ. وسنده صحيح.

فصل ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ

قال البخاري رحمه الله:

بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.

وقوله ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْهَمُهُ".

وقال البخاري رحمه الله: (77) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهَرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِهِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ.

باب اعتبار صحة سماع الصبي من وقت تعقله وتفهمه الكلام

قال البخاري رحمه الله: (76) بَابُ مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّغِيرِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الْإِخْتِلَامَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِمَنْى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ.

قال الإمام البخاري رحمه الله: [1 / 80] 194 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ الْمِيرَاثُ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ فَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ.

باب سن الرشد هو سن العقل

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾.

قال ابن جرير رحمه الله : (8581) حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "فإن أنستم منهم رشداً"، يقول: صلاحاً في عقله ودينه.

وقال الطبري [576 / 7] قوله : ﴿ فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: "أنستم منهم رشداً"، قال: العقل.

وروى الطبري (9865) رحمه الله عن حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح: "وأولي الأمر منكم"، قال: أولي الفقه في الدين والعقل.

قال الإمام البخاري رحمه الله: [506 / 3] حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهَا قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً .

وقوله (حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل،
وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه

باب تمييز الرجل عقله

قال الإمام مسلم رحمه الله: (1453) وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن أبي عمر جميعا عن الثقفى قال ابن أبي عمر حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم فأتت (تعني ابنة سهيل) النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ماعقلوا وإنه يدخل علينا وإن أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم

سلم أرضعته تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة فرجعت
فقلت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة.

باب ضعف عقول النساء

قال الإمام البخاري رحمه الله: 304 - [1 / 201] باب ترك

الحائض الصوم

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي
زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَسْلَمَ عَنْ عِيَّاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى
فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ
النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ
مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ
وَمَا نُقْصَانُ دِينَنَا وَعَقْلَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ
شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ
تُصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

قال الإمام البخاري رحمه الله: (1462) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَسْلَمَ عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالْصَّدَقَةِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْنَبُ فَقَالَ أَيُّ الزَّيَانِبِ فَقِيلَ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ نَعَمْ ائْذِنُوا لَهَا فَأَذِنَ لَهَا قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالْصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَرَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ .

وقال الإمام مسلم رحمه الله: (79) حدثنا محمد بن ربح بن المهاجر المصري أخبرنا الليث عن ابن الهاد عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر عن رسول ﷺ أنه قال: يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتهن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين.

قال محمد بن علي الشوكاني كما في مجموع كتبه [4 / 85]: ويدل على أن العقل يقبل الزيادة والنقصان وكذلك الإيمان وليس المراد من ذكر نقصان عقول النساء لومهن على ذلك لأنه مما لا مدخل لاختيارهن فيه بل المراد التحذير من الافتتان بهن وليس نقص الدين منحصر فيما يحصل به الإثم بل في أعم من ذلك قاله في الفتح. ورواه

عن النووي لأنه أمر نسبي فالكامل مثلاً ناقص عن الأكمل ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك صلاتها زمن الحيض لكنها ناقصة عن المصلي اهـ.

ولذلك لا يجوز نكاحها بغير ولي ولا يجوز النظر إليها في خطبتها إلا بحضور ولي، قال ابن عثيمين: أما النظر فإن المرأة ضعيفة العقل والدين، وسريعة العاطفة، سهلة الخداع، يمكن أن يأتي شخص من أفسق الناس ويغرّها، ويحمد نفسه عندها، ويجعل نفسه فوق الناس، في المال والكمال والأخلاق والدين، وهو من أفجر الناس وأرذل الناس، فتخدع، فكان من الحكمة أن لا تتزوج إلا بولي.

المجموع [19 / 38]

باب حرم الخمر لأنه يذهب العقل وكل ما خامر العقل فهو حرام

قال الطبري [4 / 161] قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾

و"الخمر" كل شراب خَمَّرَ العقل فستره وغطى عليه. وهو من قول القائل: "خَمَرَتِ الإناء" إذا غطيته، و"خَمِرَ الرجل"، إذا دخل في الخَمَر. ويقال: "هو في خُمار الناس وغمَهم"، يراد به دخل في عُرْض الناس. ويقال للضبع: "خامري أم عامر"، أي استتري. وما خامر العقل من داء وسكر فخالطه وغمَّره فهو "خمر".

وقال الطبري [500 / 8] حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، حدثنا أبي، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال، قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فإنها تذهب بالعقل والمال! = ثم ذكر نحو حديث وكيع.

وقال الإمام البخاري رحمه الله: (5588) بَاب مَا جَاءَ فِي أَنَّ الْخَمَرَ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ مِنَ الشَّرَابِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ

وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ وَثَلَاثٌ وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُفَارِقْنَا حَتَّى يَعْهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا الْجَدُّ وَالْكَالَةُ وَأَبْوَابُ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا قَالَ قُلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو فَشَيْءٌ يُصْنَعُ بِالسِّنْدِ مِنَ الْأُرْزِ قَالَ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ: عَلَى عَهْدِ عُمَرَ وَقَالَ حَجَّاجٌ عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِي حَيَّانَ مَكَانَ الْعِنَبِ الزَّيْبِ.

قال الإمام البخاري رحمه الله: (5581) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي حَيَّانَ حَدَّثَنَا عَامِرٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَامَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ.

وقال الإمام مسلم رحمه الله: (3032) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي حيان عن الشعبي عن ابن عمر قال : خطب عمر على منبر رسول ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد ألا وإن الخمر نزل تحريمها يوم نزل وهي من خمسة أشياء من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل والخمر ما خامر العقل وثلاثة أشياء وددت أيها الناس أن يرسل الله

صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيها الجد والكلالة وأبواب من أبواب الرأى.

ومن ذلك تحريم المخدرات والتبناك والقات .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية رحمه الله: (وقد سئلت عن حكم التبناك الذي أولع بشربه كثير من الجهال والسفهاء مما يعلم كل تحريمنا إياه نحن ومشائنا ومشائنا ومشائنا ومشائنا وكافة المحققين من أئمة الدعوة النجدية من لدن وجوده بعد الألف بعشرة أعوام أو نحوها حتى يومنا هذا - إلى أن قال : وتحريمه بالنقل الصحيح والعقل الصريح وكلام الأطباء المعبرين . ثم ذكر الأدلة من النقل على تحريمه . وذكر من حرمه من علماء المذاهب الأربعة ثم قال : وأما العقل الصريح فلما علم بالتواتر والتجربة والمشاهدة ما يترتب على شاربها غالبا من الضرر في صحته وسمعه وعقله وقد شوهد موت وغشي وأمراض عسرة كالسعال المؤدي إلى مرض السل الرئوي ومرض القلب والموت بالسكتة

القلبية وتقلص الأوعية الدموية بالأطراف وغير ذلك مما يحصل به القطع العقلي أن تعاطيه حرام - إلى أن قال : وأما كلام الأطباء فإن الحكماء الأقدمين مجمعون على التحذير من ثلاثة أشياء ومتفقون على ضررها - أحدها التنن - الثاني الغبار - الثالث الدخان وكتبهم طافحة بذلك) - ١هـ باختصار .

قال الشيخ الفوزان معلقا: والدخان ضار للبدن قطعاً ثم له شيء من التأثير على العقل . أما أنه ضار فقد فرغ منه الحكماء . وأنا أحكي للقارئ ما كان لي منه وهو الحكم بعد ذلك : كنت أمشي يوماً مع أحد طلبة العلم فعرج على بائع دخان اشترى منه سيجارتين أشعل إحداهما وأقسم علي يمينا غليظا أن آخذها منه وأستعملها - حلف ذلك اليمين لما امتنعت أولاً عن أخذها وإفهامه أنني لم أتعاط الدخان في حياتي فرحمة به وبحرمه التي يتعلق بها اليمين تناولت السيجارة وأخذت أجذب في دخانها وأنفخه من فمي دون أن يتجاوز الفم للداخل رأى هو ذلك فقال ابتلع ما تجذبه فإن قسمني على هذا . لم أمانع وفعلت ما

قال نفسا واحدا والله ما زدت عليه وإذا دارت الأرض حولي دورة تشبه دورة المغزل فبادرت إلى الجلوس على الأرض وظننت بنفسي أنني انتهيت وظننت بصاحبي الظنون وبكل تعب وصلت إلى بيتي وأنا راكب وهو معي يحافظ علي وبعد ذلك مكثت إلى آخر اليوم التالي تقريبا حتى أحسست بخفة ما كنت أجده . فحكيت هذا لكثير من الناس أستكشف ما كان مخبوءا لي في السيجارة فأخبروني أن الدخان يعمل هذا العمل في كل من لم يعتده . فقلت إذا كان نفس واحد فعل بي كل هذا فماذا تفعله الأنفاس التي لا تعد كل يوم يجتذبها معتاد الدخان خصوصا المكثر منه ؛ وهل يؤثر الدخان على كل بدن . يراجع الطب في ذلك وأنا أعلم أنهم قالوا فيه ما قالوا من المضار وكان لبعضهم فيه تشديد عظيم حتى كان لا يداوي من لم يتركه . أما أن له تأثيرا على العقل فبدلك عليه أن شاربه إذا نزل به مكدر يفزع إلى شربه ويكثر منه فيتسلى ويخفف عنه ما كان من ألم الحزن ولولا أنه يحصل منه شيء من التغطية على العقل ما حصل ذلك التسلي الذي يشعر بأن

السبب الذي من أجله كان الحزن ذهل عنه العقل بعض الذهول حتى خف حزنه هذا معنى لا يحتاج لطول تفكير فيه . انتهى . من مجموع صالح بن عبدالله الفوزان [7 / 7]

باب قول عمر وعقلناها أي فهمناها

قال الإمام البخاري رحمه الله: (6830) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَقْرَأُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنَى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فَلَانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فَلَانًا فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلَئِنَّ فَتَمَّتْ فَعُصِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ قَالَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ

يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوَّاءَهُمْ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ وَأَنْ لَا يَعُوهَا وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَأَمْهَلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهَجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِيَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَاتِكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَقَالَ عُمَرُ أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الْحِجَّةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَجَلْتُ الرِّوَاخَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ بَنِ عَمْرٍو بَنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الْمِنْبَرِ فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بَنِ عَمْرٍو بَنِ نُفَيْلٍ لِيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا لَا أَذْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَجْلِي

فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْإِعْتِرَافُ.

باب الحلم من العقل

قال الإمام البخاري رحمه الله: (17) وحدثني عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي ح وحدثنا نصر بن علي الجهضمي قال أخبرني أبي قال جميعا حدثنا قرة بن خالد عن أبي جمرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنهاكم عما ينبذ في الدباء والنقيير والحتتم

المزفت. وقال رسول ﷺ للأشج أشج عبدالقيس إن فيك خصلتين
يحبهما الله الحلم والأناة .

والحلم: العقل وأما الأناة فهي الثبوت وترك العجلة]

باب في آخر الزمان يقال: ما أعقل الرجل وهو خائن

قال الإمام مسلم رحمه الله: (143) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة
حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة قال
حدثنا رسول ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا : أن
الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن
وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «ينام الرجل النومة فتقبض
الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل
أثرها مثل الحبل كجمر دحرجته على رجله فنقط فتراه منتبرا وليس فيه شيء .
ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله) فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي
الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجده ما أظرفه ما
أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتني علي نرمان وما أبالي

أَيْكُمْ بَايَعْتُ لَنْ كَانَ مُسْلِمًا لِيرْدَنهُ عَلَي دِينِهِ وَلَنْ كَانَ نَصْرَانِيًا أَوْ يَهُودِيًا لِيرْدَنهُ عَلَي سَاعِيهِ وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأَبَايَعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا".

باب أهل العقول هم من يلي الإمام في الصلاة

روى الإمام البخاري رحمه الله: (432) عن أبي مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» . قال أبو مسعود فأتهم اليوم أشد اختلافًا» .

ورواه الإمام مسلم رحمه الله: (432) .

قوله: (الأحلام والنهي) أي ذوو الألباب والعقول، قال ابن الأثير واحد الأحلام حلم بالكسر بمعنى الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء والنهي جمع نهية وهي العقل وسمي العقل نهية لأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يتجاوز [

باب لا يصلي الإمام إلا وقد عقل الناس تسوية الصفوف

روى الإمام مسلم رحمه الله: (436) عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يوما فقام حتى كاد يكبر فرأى رجلا باديا صدره من الصف فقال: عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم .

باب السؤال عن عقل من اعترف بالزنا

قال الإمام مسلم رحمه الله: (1695) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا بشير بن المهاجر حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه : أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإنني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟» فقالوا ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى فأتاه الثالثة فأرسل إليهم

أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم.

قال فجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله إني قد زنت فطهرني وإنه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى قال: «إما لا فاذهبي حتى تلدي». فلما ولدت أخته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تطفميه» فلما طفمته أخته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد طفمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي ﷺ سبع إياها فقال (مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له) ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت.

باب الإحسان إلى من في عقله شيء

قال الإمام مسلم رحمه الله: (2326) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال: «يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

باب ثناء حسان على عائشة أنها ذات عقل

قال الإمام مسلم رحمه الله: (2488) حدثني بشر بن خالد أخبرنا محمد (يعني ابن جعفر) عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعرا يشبب بأبيات له فقال:

حصان رزان ما تزن بريية ... وتصبح غرثي من لحوم الغوافل .

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له يدخل عليك ؟ وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب

عظيم [النور/ 11] فقالت: فأَيُّ عذاب أشد من العمى؟ إنه كان ينافح
أويهاجي عن رسول ﷺ.

معناه يتغزل: كذا فسرهُ المشارق (حصان) أي محصنة عفيفة (رزان)
كاملة العقل ورجل رزين.

الثواب والعقاب لا يثبت بالعقل

اعلم أن الثواب والعقاب لا يثبت بالعقل وذلك لأنه من أمور الغيب
ومن الأدلة على ذلك:

ما روى الإمام مسلم رحمه الله: (2816) حدثنا قتيبة بن سعيد
حدثنا ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أبي هريرة : عن رسول ﷺ
أنه قال: «لن ينجي أحد منكم عمله قال رجل ولا إياك؟ يا رسول الله
قال ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سدّدوا».

واعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا
إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف.

باب ذم من لا عقل له

قال الإمام مسلم رحمه الله: (2865) حدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار بن عثمان حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن عياض بن جمار المجاشعي : أن رسول الله ﷺ قال: «ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قریشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغرك وأنفق فسنفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال

وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش ولم يذكر أبو غسان في حديثه وأنفق فسنفق عليك.

ومعنى قوله ﷺ: (لا زبر له) أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي.

باب يبقى بعد عيسى أناس لا عقول لهم.

قال الإمام مسلم رحمه الله: (2940) حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله

بن عمرو قال سمعتها من رسول ﷺ قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً».

فصل

الأدلة النقلية الصحيحة التي قبلتها عقول أهل العلم والنهى، وكفرت بها عقول أهل البدع والهوى

آيات وأحاديث الصفات

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

مما يعلم يقينا أن الله له أسماء وصفات وكلها بالغة الكمال والحسن وكلها لا يلحقها زوال ولم يسبقها عدم وذا ما دل عليه النقل والعقل والأدلة على ذلك كثيرة ولكن ابتلي أهل الإسلام بالمعطلة من أهل البدع الذين عطلوا صفات الله زعما منهم أن العقل لا يقبلها وتعالى الله هما يقولون علوا كبيرا فنحن نحاججهم بالقرآن والسنة فالقرآن قد أخبرنا أن الله يرى وأن الله له يد وله وجه ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب ويحب ويكره ويسمع ويبصر وليس كمثله شيء جل وعلا وكذلك العقل يدل على ذلك بأكمل الوجوه .

ومن عارض من المعطلة ما ورد في الكتاب والسنة حاججناه بالعقل .

وأفضل ما يجادلون به عقليا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله قال:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب " العقل والنقل " (204 / 1):

" وأما على قول أكابرهم : إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمها إلا الله، وأن معناها الذي أراده الله بها فهو ما يوجب صرفها عن ظواهرها؛ فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ؛ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه . . . " .

إلى أن قال : " ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذا كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ

البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا؛ فأشرف ما فيه - وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمرا ونهيا ووعدا وتوعدا، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين " انتهى .

وقال ابن تيمية رحمه الله في التدمرية: فأما الأصلان : فأحدهما أن يقال : (القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإن كان المخاطب ممن يقول : بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدره سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مرید بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات فيقال له : لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبتته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ؛ فإن قلت : إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه

وغضبه وهذا هو التمثيل وإن قلت : إن له إرادة تليق به ؛ كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك : وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق به وإن قلت : الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له : والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة فإن قلت : هذه إرادة المخلوق قيل لك : وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ؛ إن نفي عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين ؛ فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات وإن قال : أنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين ؛ فيجب نفيه عنه قيل له : وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض يقال له : فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبتته..

الأصل الثاني وهو أن يقال : (القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في

أفعاله . فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات . فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فإذا قال : لا أعلم كيفيته قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له ؛ فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستوائهم وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات

: فإن من أثبت شيئاً ونفى شيئاً بالعقل - إذا - ألزم فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبتته ولو طوّل بالفرق بين المحذور في هذا وهذا : لم يجد بينهما فرقاً ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض - الذين يوجبون فيما نفوه : إما التفويض ؛ وإما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ - قانون مستقيم .

فإذا قيل لهم : لم تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد ؟ لم يكن لهم جواب صحيح فهذا تناقضهم في النفي وكذا تناقضهم في الإثبات ؛ فإن من تأول النصوص على معنى من المعاني التي يثبتها فإنهم إذا صرفوا النص عن المعنى الذي هو مقتضاه إلى معنى آخر : لزمهم في المعنى المصروف إليه ما كان يلزمهم في المعنى المصروف عنه فإذا قال قائل : تأويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه : هو إرادته للثواب والعقاب ؛ كان ما يلزمه في الإرادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت والرضا والسخط ولو فسر ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب فإنه يلزمه في ذلك نظير ما فر منه فإن الفعل لا بد أن

يقوم أولاً بالفاعل والثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه ويسخطه ويغضبه المثير المعاقب فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول في الشاهد للعبد مثلوا وإن أثبتوه على خلاف ذلك فكذلك الصفات . العقيدة التدمرية [ص 12].

التمثيل لا يوافق العقل لأن الإنسان ضعيف لا يمكن أن يدرك شيئاً

بعقله وهو غائب

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: [27 / 24]

وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا
وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع
والعقل...

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا
عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم،
وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟.

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك. وقال الشيخ الفوزان "عبدُ الله بنُ سعيد بن كُلاب": "كان يُثبِتُ سبعَ صفاتٍ، وينفي ما عداها، يقول: (لأنَّ العقلَ لا يدُلُّ إلا على سبعِ صفاتٍ فقط: "العلمُ"، و "القدرةُ"، و "الإرادةُ"، و "الحياةُ"، و "السمعُ"، و "البصرُ"، و "الكلامُ") يقول: (هذه دَلَّ عليها العقل، أما ما لم يدُلُّ عليه العقل - عنده - فليس بثابت).

ثم إنَّ اللهَ مَنَّْ على "أبي الحسن الأشعري"، وتركَ "مذهب الكُلايَّةِ"، ورجعَ إلى مذهبِ الإمام أحمد بن حنبل، وقال: (أنا أقولُ بما يقولُ به إمامُ أهلِ السُنَّةِ والجماعة أحمد بن حنبل: إنَّ اللهَ استوى

على العرش، وإنَّ له يداً، وإنَّ له وجهًا). ذَكَرَ هذا في كتابه: "الإبانة عن أصول الديانة"، وذكَرَ هذا في كتابه الثاني: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ذَكَرَ (أنَّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل). وإن بَقِيَتْ عندهُ بعضُ المخالفات..

ولكنَّ أتباعه بقوا على "مذهب الكلالية"؛ فغالِبُهُم لا يزالون على مذهبه الأول، ولذلك يُسمَّون "بالأشعرية": نسبةً إلى الأشعري في مذهبه الأول. اهـ

علو ربنا تعالى يوافق العقل والنقل

عن معاوية السلمي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال لسيِّدها: "أعتقها، فإنها مؤمنة". رواه مسلم.

والأدلة على ذلك كثيرة،

قال ابن عثيمين: [24 / 99] وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة على علو الله تعالى.

أما أدلة الكتاب والسنة فلا تكاد تحصر، مثل قوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، وقوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"،

وأما الإجماع: فقد نقل إجماع السلف على علو الله تعالى غير واحد من أهل العلم.

وأما دلالة العقل على علو الله تعالى: فلأن العلو صفة كمال، والسفول صفة نقص، والله تعالى موصوف بالكمال، منزّه عن النقص.

وأما دلالة الفطرة على علو الله تعالى: فإنه ما من داع يدعو ربه إلا وجد من قلبه ضرورة بالاتجاه إلى العلو، من غير دراسة كتاب ولا تعليم معلم اهـ.

وقد صنّف الحافظ الذهبي رحمه الله كتاباً سمّاه: "العلو للعليّ الغفّار" ساق فيه الأدلة على علو الله على عرشه، وهي كثيرة.

قال العلماء: إن أدلة علو الله على عرشه تبلغ ألف دليل أو أكثر من الوحي، ومن الفطرة، ومن الأدلة العقلية، وهذا ثابت لا شك فيه، ولا ينكره إلاّ الملاحدة من الجهميّة وغيرهم. اهـ من مكتبة الشيخ الفوزان

[403 / 33]

حال حديث العرض في تحكيم العقل

ورد حديث عن عثمان بن عبد الرحمن يعني الوقاصي، عن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عمر، لعل أحدكم متكئ على أريكته ثم يكذّبي، ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه، فأنا قلته، وإن لم يوافقه فلم أقله».

قال ابن الساجي: قال أبي رحمه الله: هذا حديث موضوع عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وبلغني عن علي بن المديني، أنه قال: ليس لهذا الحديث أصل، والزنادقة وضعت هذا الحديث قال

الشيخ : «وصدق ابن الساجي، وابن المديني رحمهما الله، لأن هذا الحديث كتاب الله يخالفه، ويكذب قائله وواضعه، والحديث الصحيح، والسنة الماضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده قال الله عز وجل : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ .

والذي أمرنا الله عز وجل أن نسمع ونطيع، ولا نضرب لمقاتته عليه السلام المقاييس، ولا نلتمس لها المخارج، ولا نعارضها بالكتاب، ولا بغيره، ولكن نتلقاها بالإيمان والتصديق والتسليم إذا صحت بذلك الرواية . وأما السنة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم التي تخالف هذا الحديث الموضوع التي نقلها أهل العدالة والأمانة.

قال ابن بطة في الإبانة الكبرى [1 / 109] قال الشافعي فقلت له :

ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير

معرفة السنن والآثار للبيهقي [1 / 8] فإنه أورده (ص 264) تحت

عنوان : "الأخبار المقاطيع عن جابر بن زيد رحمه الله " .

ثم ساق تحته واحداً وثمانين حديثاً عنه مرسلًا دون إسناد إليه !
جملة كبيرة.

منها - إن لم أقل : أكثرها - مناكير وأباطيل ؛ كهذا الحديث،
وكحديث رقم (945). "ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو عني، وما خالفه فليس عني، !

وقد صرح بعض أئمتنا بأنه حديث باطل ؛ من وضع الزنادقة -

وقال في السلسلة الضعيفة مجلد 13 كامل [13 / 658].

وأما حديث: " إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم و تلين له
أشعاركم و أبشاركم و ترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به و إذا
سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم و تنفر منه أشعاركم و أبشاركم و
ترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه " .

باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام

نزول عيسى عليه السلام معجزة سماوية وآية إلهية ولكن العقلانيون لا يعقلون، قال الإمام مسلم رحمه الله: (2940) حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث به ؟ تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال سبحانه الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين (لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما) فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل

في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول ﷺ قال
فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا
ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون؟ فيقولون فما
تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم
ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا قال وأول
من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل
الله - أو قال ينزل الله - مطراً كأنه الطل أو الظل (نعمان الشاك)
فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم
يقال يا أيها الناس هلم إلي ربكم وقفوهم إنهم مسئولون قال ثم يقال
أخرجوا بعث النار فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعين قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن
ساق».

وقال القاضي عياض: "نزل عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله؛ فوجب إثباته.

وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وبقوله صلى الله عليه وسلم: "لا نبي بعدي"، وإجماع المسلمين أنه لا نبي بعده.

حديث الذباب وموافقة العقل له

قال الإمام البخاري رحمه الله باب إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْأُخْرَى شِفَاءٌ (3320) حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ بْنُ حُنَيْنٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءٌ».

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، وبحر بن نصر، قالا: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد بن خالد القارظي قال: أتيت أبا سلمة بن عبد الرحمن أزره بقاء، فقدم إلينا زبدا وكتلة، فسقط في الزبد ذباب، فجعل أبو سلمة يمقله بخنصره، فقلت: غفر الله لك يا خال، ما تصنع؟، فقال: إني سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا سقط الذباب في الطعام فامقلوه ؛ فإن في أحد جناحيه سما، وفي الآخر شفاء، وإنه يقدم السم، ويؤخر الشفاء ».

وقال الطحاوي مشكل الآثار [7 / 308] فقال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوجوها: وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى؟ فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرؤه منه لوجد فيه ما يدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، وهو

قوله عز وجل : وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات الآية، وكان وحي
الله عز وجل إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ما أمرها به، كمثله قوله جل
وعز في الأرض : يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها. ووحيه
لها هو إلهامه إياها ما شاء أن يلهمها إياه، حتى يكون منها ما أراد الله
عز وجل أن يكون منها، والنحل كذلك فيما يوحيه إليها ؛ ليكون منها
ما قد شاء الله عز وجل أن يكون منها . حتى يمضي في ذلك بإلهامه
إياها له، وحتى يكون منها ما أراد عز وجل أن يكون منها . فمثل ذلك
الذباب ألهمه عز وجل ما ألهمه مما يكون سببا لإتيانه لما أراده منه من
غمس أحد جناحيه فيما يقع فيه مما فيه الداء، والتوقي بجناحه الآخر
الذي فيه الشفاء، ومن ذلك قوله عز وجل مما أخبر به عن النمل : حتى
إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فألهمها الله عز وجل ما
كان منها من ذلك مما يكون سببا لنجاتها ونجاة أمثالها من سليمان

صلى الله عليه وسلم ومن جنوده، فمثل ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذباب مما ذكرنا . ومثل ذلك ما قد أعلمنا الله عز وجل في الهدهد مع سليمان صلى الله عليه وسلم من قوله :
 إني وجدت امرأة تملكهم الآية، وكان ذلك لإلهام الله عز وجل إياه ذلك، ولم يكن قبله من أهل الكلام حتى ألهمه ما ألهمه مما أنطقه به .
 فمثل ذلك ما قد رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذباب مما ذكرنا، وفيما تلونا مما في كتاب الله عز وجل في النحل وفي النمل ما قد دل على أن سائر الأشياء كذلك، وأن الله عز وجل يلهمها ما شاء إذا شاء حتى يكون بما يلهمها من ذلك لغيرها من سائر خلقه مما هو معروف قبل ذلك بمثل ما كان من ذلك الإلهام، والله عز وجل نسأله التوفيق .

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1 / 59 : رواه أحمد (3 / 67) [44 / 1] قال الحافظ : وإسناده صحيح، كما في " نيل الأوطار " (1 / 55) .

فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة أبي هريرة و أبي سعيد و أنس، ثبوتا لا مجال لرده و لا للتشكيك فيه، كما ثبت صدق أبي هريرة رضي الله عنه في روايته إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خلافا لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين، و من تبعه من الزائغين، حيث طعنوا فيه رضي الله عنه لروايته إياه، و اتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و حاشاه من ذلك، فهذا هو التحقيق العلمي يثبت أنه بريء من كل ذلك و أن الطاعن فيه هو التحقيق بالطعن فيه، لأنهم رموا صحابيا بالبهت، و ردوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة!.

و قد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت، و ليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث، و هو حجة و لو تفرد، أم جهلوا ذلك، فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه، و

يوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام ؟ ! و إن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص و العلم بالحديث الشريف ؟.

و ما أحسن ما قيل :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة و إن كنت تدري فالمصيبة أعظم
ثم إن كثيرا من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره
الأطباء و هو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام
أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم، و الحقيقة أن الحديث لا
يخالف الأطباء في ذلك، بل هو يؤيدهم إذ يخبر أن في أحد جناحيه
داء، و لكنه يزيد عليهم فيقول : " و في الآخر شفاء " فهذا مما لم
يحيطوا بعلمه، فوجب عليهم الإيمان به إن كانوا مسلمين، و إلا
فالتوقف إذا كانوا من غيرهم إن كانوا عقلاء علماء ! ذلك لأن العلم
الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه .

نقول ذلك على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث
بالصحة، و قد اختلف آراء الأطباء حوله، و قرأت مقالات كثيرة في

مجالات مختلفة كل يؤيد ما ذهب إليه تأييدا أو ردا، و نحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث و أن النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ﷻ، لا يهمنا كثيرا ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب، لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي و مع ذلك فإن النفس تزدد إيمانا حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح، و لذلك فلا يخلو من فائدة أن أنقل إلى القراء خلاصة محاضرة ألقاها أحد الأطباء في جمعية الهداية الإسلامية في مصر حول هذا الحديث قال: "يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة، فينقل بعضها بأطرافه، و يأكل بعضها، فيتكون في جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ "مبعد البكتريا"، و هي تقتل كثيرا من جراثيم الأمراض، و لا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حال وجود مبعد البكتريا . و أن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب، هي أنه يحول البكتريا إلى ناحيته، و على هذا فإذا سقط

الذباب في شراب أو طعام وألقي الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبيد البكتريا الذي يحمله الذباب في جوفه قريبا من أحد جناحيه، فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه، و غمس الذباب كله و طرحه كاف لقتل الجراثيم التي كانت عالقة، و كاف في إبطال عملها".

و قد قرأت قديما في هذه المجلة بحثا ضافيا في هذا المعنى للطبيب الأستاذ سعيد السيوطي (مجلد العام الأول) و قرأت كلمة في مجلد العام الفأث (ص 503) كلمة للطبيين محمود كمال و محمد عبد المنعم حسين نقلا عن مجلة الأزهر .

ثم وقفت على العدد (82) من " مجلة العربي " الكويتية ص 144 تحت عنوان : " أنت تسأل، ونحن نجيب " بقلم المدعو عبد الوارث كبير، جوابا له على سؤال عما لهذا الحديث من الصحة و الضعف ؟ فقال : " أما حديث الذباب، و ما في جناحيه من داء و شفاء، فحديث ضعيف، بل هو عقلا حديث مفترى، فمن المسلم به أن الذباب يحمل من

الجرائم والأقذار ... ولم يقل أحد قط أن في جناحي الذبابة داء وفي الآخر شفاء، إلا من وضع هذا الحديث أو افتراه، و لو صح ذلك لكشف عنه العلم الحديث الذي يقطع بمضار الذباب و يحض على مكافحته " .

و في الكلام على اختصاره من الدس و الجهل ما لا بد من الكشف عنه دفاعا عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و صيانة له أن يكفر به من قد يغتر بزخرف القول ! فأقول :

أولا : لقد زعم أن الحديث ضعيف، يعني من الناحية العلمية الحديثية بدليل قوله : " بل هو عقلا حديث مفترى " .

و هذا الزعم واضح البطلان، تعرف ذلك مما سبق من تخريج الحديث من طرق ثلاث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كلها صحيحة . و حسبك دليلا على ذلك أن أحدا من أهل العلم لم يقل بضعف الحديث كما فعل هذا الكاتب الجريء !

ثانيا : لقد زعم أنه حديث مفترى عقلا .

و هذا الزعم ليس وضوح بطلانه بأقل من سابقه، لأنه مجرد دعوى
لم يسق دليلا

يؤيده به سوى الجهل بالعلم الذي لا يمكن الإحاطة به، ألتست تراه
يقول : و لم يقل أحد ...، و لو صح لكشف عنه العلم الحديث ... ".
فهل العلم الحديث - أيها المسكين - قد أحاط بكل شيء علما، أم
أن أهله الذين لم يصابوا بالغرور - كما أصيب من يقلدهم منا -
يقولون : إننا كلما ازددنا علما بما في الكون و أسرارها، ازددنا معرفة
بجهلنا ! و أن الأمر بحق كما قال الله تبارك و تعالى : (و ما أوتيتم من
العلم إلا قليلا).

و أما قوله : " إن العلم يقطع بمضار الذباب و يحض على مكافحته
" ! فمغالطة مكشوفة، لأننا نقول : إن الحديث لم يقل نقيض هذا، و
إنما تحدث عن قضية أخرى لم يكن العلم يعرف معالجتها، فإذا قال
الحديث : " إذا وقع الذباب .. " فلا أحد يفهم، لا من العرب و لا من

العجم، اللهم إلا العجم في عقولهم وإفهامهم أن الشرع يبارك في الذباب ولا يكافحه؟.

ثالثا : قد نقلنا لك فيما سبق ما أثبتته الطب اليوم، من أن الذباب يحمل في جوفه ما سموه بـ " مبعد البكتريا " القاتل للجراثيم . و هذا و إن لم يكن موافقا لما في الحديث على وجه التفصيل، فهو في الجملة موافق لما استنكره الكاتب المشار إليه و أمثاله من اجتماع الداء و الدواء في الذباب، و لا يبعد أن يأتي يوم تنجلي فيه معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثبوت التفاصيل المشار إليها علميا، (ولتعلمن نبأه، بعد حين).

و إن من عجيب أمر هذا الكاتب و تناقضه، أنه في الوقت الذي ذهب فيه إلى تضعيف هذا الحديث، ذهب إلى تصحيح حديث " طهور الإناء الذي يلغ فيه الكلب أن يغسل سبع مرات : إحداهن بالتراب " فقال : " حديث صحيح متفق عليه " فإنه إذا كانت صحته جاءت من اتفاق العلماء أو الشيخين على صحته، فالحديث الأول

أيضا صحيح عند العلماء بدون خلاف بينهم، فكيف جاز له تضعيف هذا و تصحيح ذاك ؟ ! ثم تأويله تأويلا باطلا يؤدي إلى أن الحديث غير صحيح عنده في معناه، لأنه ذكر أن المقصود من العدد مجرد الكثرة، و أن المقصود من التراب هو استعمال مادة مع الماء من شأنها إزالة ذلك الأثر !

و هذا تأويل باطل، بين البطلان و إن كان عزاه للشيخ محمود شلتوت عفا الله عنه.

فلا أدري أي خطأيه أعظم، أهو تضعيفه للحديث الأول و هو صحيح، أم تأويله للحديث الآخر و هو تأويل باطل ! .

و بهذه المناسبة، فإني أنصح القراء الكرام بأن لا يثقوا بكل ما يكتب اليوم في بعض المجلات السائرة، أو الكتب الذائعة، من البحوث الإسلامية، و خصوصا ما كان منها في علم الحديث، إلا إذا كانت بقلم من يوثق بدينه أولا، ثم بعلمه و اختصاصه فيه ثانيا، فقد غلب الغرور على كثير من كتاب العصر الحاضر، و خصوصا من يحمل منهم لقب

"الدكتور" ! . فإنهم يكتبون فيما ليس من اختصاصهم، و ما لا علم لهم به، و إني لأعرف واحدا من هؤلاء، أخرج حديثا إلى الناس كتابا جله في الحديث و السيرة، و زعم فيه أنه اعتمد فيه على ما صح من الأحاديث والأخبار في كتب السنة و السيرة ! ثم هو أورد فيه من الروايات والأحاديث ما تفرد به الضعفاء و المتروكون و المتهمون بالكذب من الرواة كالواقدي و غيره، بل أورد فيه حديث : " نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر "، و جزم بنسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه مما لا أصل له عنه بهذا اللفظ، كما نبه عليه حفاظ الحديث كالسخاوي و غيره، فاحذروا أيها القراء أمثال هؤلاء.

والله المستعان. اهـ

حديث افتراق الأمة

قال الترمذي [5 / 24] 2640 باب ما جاء في افتراق الأمة

حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال:

«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرق أمتي ثلاث وسبعين فرقة».

وفي الباب عن سعد و عبد الله بن عمرو و عوف بن مالك.

قال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

قال الشيخ الألباني : حسن صحيح قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1 / 358 :

أخرجه أبو داود (2 / 503 - 504)، و الدارمي (2 / 241) و أحمد (4 / 102).

وكذا الحاكم (1 / 128) و الآجري في " الشريعة " (18) و ابن بطة في " الإبانة " (2 / 108 ، 2 / 119 ، 1) و اللالكائي في " شرح السنة " (1 / 23) من طريق صفوان قال : حدثني أزهر بن عبد الله الهوزني عن أبي عامر عبد الله بن لحي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال فذكره .

وقال الحاكم و قد ساقه عقب أبي هريرة المتقدم : " هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث " . و وافقه الذهبي .
وقال الحافظ في " تخريج الكشاف " (ص 63) : " و إسناده حسن " .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " المسائل " (83 / 2) .
" هو حديث صحيح مشهور " . و صححه أيضا الشاطبي في " الاعتصام " (38 / 3) . و من طرق الحديث التي أشار إليها ابن كثير، وفيها الزيادة، ما ذكره الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء " (199 / 3) قال : " رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو و حسنه، و أبو داود من حديث معاوية، و ابن ماجه من حديث أنس و عوف بن مالك، و أسانيدھا جیاد " .

فقد تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه، و لذلك تتابع العلماء خلفا عن سلف على الاحتجاج به حتى قال الحاكم في أول كتابه " المستدرک " : " إنه حديث كبير في الأصول " و لا أعلم أحدا

قد طعن فيه، إلا بعض من لا يعتد بتفرده و شذوذه، أمثال الكوثري الذي سبق أن أشرنا إلى شيء من تنطعه و تحامله على الطريق الأولى لهذا الحديث، التي ليس فيها الزيادة المتقدمة : " كلها في النار "، جاهلا بل متجاهلا حديث معاوية و أنس على كثرة طرقه عن أنس كما رأيت. وليته لم يقتصر على ذلك إذن لما التفتنا إليه كثيرا، ولكنه دعم رأيه بالنقل عن بعض الأفاضل، ألا و هو العلامة ابن الوزير اليميني، و ذكر أنه قال في كتابه : " العواصم و القواصم " ما نصه : " إياك أن تغتر بزيادة " كلها في النار إلا واحدة " فإنها زيادة فاسدة، و لا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة . و قد قال ابن حزم : إن هذا الحديث لا يصح " .

قال ابن كثير في تفسيره : و حديث افتراق الأمم إلى بضع و سبعين، مروي من طرق عديدة، قد ذكرناها في موضع آخر . انتهى . قلت : أما زيادة كونها في النار إلا واحدة " فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم : إنها موضوعة " .

قال المعلمي رحمه الله تعالى في " العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ " (ص 414) :

" حديث افتراق الأمة إلى ثلاث و سبعين فرقة، رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها . (ثم ذكر حديث معاوية هذا، و حديث ابن عمرو بن العاص الذي أشار إليه الحافظ العراقي و حسنه الترمذي ثم قال :) و الإشكال في قوله : " كلها في النار إلا ملة "، فمن المعلوم أنهم خير الأمم، و أن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث، فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة، و قال : هي زيادة غير ثابتة . و بعضهم تأول الكلام . قال : و من المعلوم أن ليس المراد من الفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنى اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة . إنما الكلام في مخالفة تصوير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها . و إذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل، و فيما

يترتب عليه عظام المفاسد لا تكاد تنحصر، و لكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت و التأم بعضهم إلى قوم و خالف آخرون بحسب مسائل عديدة.

ثم أجاب عن الإشكال بما خلاصته : " إن الناس عامة و خاصة، فالعامة آخريهم كأولهم، كالنساء و العبيد و الفلاحين و السوق و نحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخريهم من الابتداع كأولهم .

و أما الخاصة، فمنهم مبتدع اخترع البدعة و جعلها نصب عينيه، و بلغ في تقويتها كل مبلغ، و جعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب و السنة، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه و التعصب، و ربما جددوا بدعته و فرعوا عليها و حملوه ما لم يتحمله، و لكنه إمامهم المقدم و هؤلاء هم المبتدعة حقا، و هو شيء كبير (تكاد السماوات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هدا)، كنفي حكمة الله تعالى، و نفي إقداره المكلف، و ككونه يكلف ما لا يطاق، و يفعل سائر القبائح و لا

تقبح منه، و أخواتهن ! و منها ما هو دون ذلك، و حقائقها جميعها عند الله تعالى، و لا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدى الثلاث و سبعين فرقة .

و من الناس من تبع هؤلاء و ناصرهم و قوى سوادهم بالتدريس و التصنيف، ولكنه عند نفسه مراجع إلى الحق، و قد دس في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع لكن على وجه خفي، و لعله تخيل مصلحة دينية، أو عظم عليه انحطاط نفسه و ايداؤهم له في عرضه و ربما بلغت الأذية إلى نفسه . و على الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل، و تحبب في تصرفاته، و حسابه على الله سبحانه، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله، أو يقبل عذره، و ما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظائر إلا قد فعل ذلك، لكن شرهم و الله كثير، فلربما لم يقع خبرهم بمكان، و ذلك لأنه لا يفتن لتلك اللمة الخفية التي دسوها إلا الأذكاء المحيطون بالبحث، و قد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمة، و ليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق و يخفيه . والله المستعان .

و من الناس من ليس من أهل التحقيق، و لا هيء للهجوم على الحقائق، و قد تدرب في كلام الناس، و عرف أوائل الأبحاث، و حفظ كثيرا من غشاء ما حصلوه و لكن أرواح الأبحاث بينه و بينها حائل . وقد يكون ذلك لقصور الهمة و الاكتفاء و الرضا عن السلف لوقعهم في النفوس . و هؤلاء هم الأكثرون عددا، و الأرذلون قدرا، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة، و لا أدركوا سلامة العامة . فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعاً . والثاني ظاهره الابتداع، و الثالث له حكم الابتداع .

و من الخاصة قسم رابع ثلثة من الأولين، و قليل من الآخرين، أقبلوا على الكتاب و السنة و ساروا بسيرها، و سكتوا عما سكتا عنه، و أقدموا و أحجموا بهما و تركوا تكلف مالا يعينهم، و كان تهمهم السلامة، و حياة السنة أثر عندهم م حياة نفوسهم، و قررة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى، و فهم معانيه على السليقة العربية و التفسيرات المروية، و معرفة ثبوت حديث نبوي لفظاً و حكماً .

فهؤلاء هم السنية حقا، وهم الفرقة الناجية، وإليهم العامة بأسرهم،
و من شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين، بحسب علمه
بقدر بدعتهم و نياتهم .

إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور و هو
الهلاك على معظم الأمة، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما و حديثا، و
كذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، و لعل القسمين الأوسطين، و
كذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من النظام في
سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، و رحمة ربك أوسع لكل
مسلم، لكننا تكلمنا على مقتضى الحديث و مصداقة، و أن أفراد الفرق
المبتدعة و إن كثرت الفرق فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءا من
ألف جزء من سائر المسلمين : فتأمل هذا تسلم من اعتقاد مناقضة
الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة " .

قلت : و هذا آخر كلام الشيخ المقبلي رحمه الله، و هو كلام متين
يدل على علم الرجل و فضله و دقة نظره، و منه تعلم سلامة الحديث

من الإشكال الذي أظن أنه عمدة ابن الوزير رحمه الله في إعلاله إياه .
و الحمد لله على أن وفقنا للإبانة عن صحة هذا الحديث من حيث
إسناده، و إزالة الشبهة عنه من حيث متنه . و هو الموفق لا إله إلا هو .

ثم وقفت على كلام لأحد الكتاب في العصر الحاضر ينكر في كتابه
" أدب الجاحظ " (ص 90) صحة هذا الحديث للدفاع عن شيخه
الجاحظ ! فهو يقول : " و لو صح هذا الحديث لكان نكبة كبرى على
جمهور الأمة الإسلامية . إذ يسجل على أغليتها الخلود في الجحيم و
لو صح هذا الحديث لما قام أبو بكر في وجه مانعي الزكاة معتبرا إياهم
في حالة ردة ... " إلى آخر كلامه الذي يغني حكايته عن تكلف الرد
عليه، لوضوح بطلانه لاسيما بعد قراءة كلام الشيخ المقبل المتقدم .

على أن قوله " الخلود في الجحيم " ليس له أصل في الحديث، و
إنما أورده الكاتب المشار إليه من عند نفسه ليتخذ ذلك ذريعة للطعن
في الحديث . و هو سالم من ذلك كله كما بينا و الحمد لله على توفيقه
. اهـ .

حديث تحريم الغناء والمعازف

قال الإمام البخاري رحمه الله: (5590) وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حَدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ الْأَشْعَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ وَاللَّهِ مَا كَذَّبَنِي سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمَرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَغْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعِلْمَ وَيَمْسَحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

الأغاني من الشهوات المحرمة ولكن أهل الهوى المعاندين لا يعترفون ولا يكادون بل يبررون لأنفسهم أنهم لا يعملون إلا حقا فمن العجب أن تجد من يقول الأغاني يقبلها العقل وهي حلال ولا نقبل تحريمها.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة:

قال ابن القيم في " إغاثة اللهفان " عقب حديث (المعازف) ما
مختصره (1 / 260 - 261) :

ووجه الدلالة أن (المعازف) هي آلات اللهو كلها لا خلاف بين
أهل اللغة في ذلك ولو كانت حلالا لما ذمهم على استحلالها ولما
قرن استحلالها باستحلال الخمر والحر .

وقد تواعد مستحلي (المعازف) فيه بأن يخسف الله بهم الأرض
ويمسخهم قردة وخنازير وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال
فلكل واحد قسط في الذم والوعيد فهذا الحق ليس به خفاء فدعني عن
بنيات الطريق والحقيقة المرة أن الشيخ الغزالي وأمثاله من الدعاة أو
الكتاب المعاصرين ليس لديهم منهج علمي ينطلقون منه فيما يذهبون
إليه من الأحكام والمسائل لا من الناحية الفقهية ولا من الناحية
الحديثية وإنما هي العشوائية العمياء المقرونة في كثير من الأحيان
باتباع الأهواء فتارة تراه مع الآرائين أو العقلانيين - كما يقولون اليوم
- في مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة بل إنه تقدمهم في ذلك

بأشواط فخالف الأئمة والفقهاء جميعا بدون استثناء وقد ذكرت في المقدمة بعض الأمثلة وتارة تاره ظاهريا جامدا كالصخر الجلمود مقلدا لبعض أئمة الظاهرية المتنطعين ولو خالف أئمة الحديث والفقهاء جميعا فإنه كما قلده ابن حزم في تضعيفه لأحاديث المعازف الصحيحة فإنه كذلك قلده في تأويله لحديث المعازف تأويلا باطلا. اهـ من تحريم آلات الطرب [ص 95].

بعث البهائم ونحوها للقصاص

قال الإمام مسلم رحمه الله: (2582) حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: "لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء" .

بعضهم أنكر ظاهر هذا الحديث بحجة أنه لا يقبله العقل. وفيه تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه

دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى وإذا
الوحوش حشرت وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على
ظاهره عقل ولا شرع.

حديث السحر

وإنكار العقلانيين من العصريين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده
والحديث ثابت في الصحيحين، قال البخاري رحمه الله: (5766)
حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ: سَحَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ
الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ
قَالَ: «أَشْعَرْتُ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ» قُلْتُ وَمَا
ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي
وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ
مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ
فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طُلَعَةٍ ذَكَرَ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بئرِ
ذِي أَرْوَانَ قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْاسٍ مِنْ

أَصْحَابِهِ إِلَى الْبَيْتِ فَظَرَّ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَحْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ:
«وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْجَنَّةِ وَلَكَأَنَّ نَحْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ قَالَ: «لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي
وَخَشِيتُ أَنْ أَتَوَّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا» وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ. ورواه مسلم).

(2189).

قال الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في الرد على الطاعنين
في حديث السحر [8 / 32]: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَاتِكُمْ وَلَا
أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ
شَيْئًا وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ
اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

فليست السلفية بالإدعاءات، ولكنها استسلام لله وقبول ما جاء عن
الله وعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعض الصحابة رضوان الله عليهم عند أن أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ شق عليهم ذلك فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، فلما أذعن القوم أنزل الله في إثرها: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ إلى قوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾. إلى آخر السورة. رواه بهذا المعنى مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس.

لسنا نقبل أن يتحمس الشخص للدين من جوانب، ويهدمه من جانب، فأصحاب المدرسة العقلية الحديثة لا يرون حجة حديث الأحاد، والدين أغلبه من طريق الأحاد، ويقدمون العقل على النقل فهل هذه طريقة السلف؟. وليس عندي من كتب محمد رشيد رضا إلا

"المنار" ورسالة في الربا، ولو أردت استقصاء ما ردّ من الأحاديث أو شك فيه، لكان مجلداً، أفكان سلفنا كذلك.

اثنوني بسلفي حرّف ما تقدم من الآيات، ورد ما تقدم من الأحاديث، وأضعاف أضعافها، والرجل لم يؤت من جهل فقد بهرتني كثرة استدلالاته، وسعة اطلاعه، ولكنه صاحب هوى، فتن بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

كلام الإمام الوادعي رحمه الله في حزب التحرير العقلاني

قال الإمام مقبل بن هادي الوادعي في تحفة الحبيب [114/ 12]

أما هذه الحزبيات فتتفرع بعضها عن بعض، ويطعن بعضها في بعض، بل لو قال القائل: إن هذه الحزبيات تحقق ما أراده أعداء الإسلام من تفرق الأمة وتشتت شملها، وتضعيف قواها لكان صادقاً.

فحزب التحرير، حزب خبيث، ولعلكم تستعظمون هذه الكلمة إذ أذكرها في أول كلامي، وكان ينبغي أن أمهد لها، فأقول: إنه حزب خبيث، نشأ في الأردن، وكان منشقاً عن الإخوان المسلمين، فراسلوه ليرجع فأبى أن يرجع، وكان زعيمه تقي الدين النبهاني، وهم في مسألة العقائد يقولون: لا تؤخذ إلا من العقل، فإن وجد السمع فلا بد أن يكون السمع مقطوعاً به، ومن ثم ينكرون عذاب القبر، وينكرون خروج المسيح الدجال ولا يهتمون بتعليم فضائل الأخلاق ولا بالعلم، فهو حزب ينشئ أصحابه على السياسة البحتة المخالفة للدين. وقد قيل لزعيمه: لماذا لا يرى في حزبكم مدارس تحفيظ قرآن؟ قال: إني لا أريد أن أخرج دراويش.

وهم يعتمدون على السياسة فقط، ولا يعتمدون على العلم والأخلاق، ولا على الرقائق، وفي الفقهيات يجيزون للرجل أن يصفح المرأة الأجنبية، ويجيزون للمرأة أن تكون زعيمة، وأن تكون في مجلس الشورى، ويجيزون للكافر أن يكون في مجلس الشورى وأن يتولى الولايات العامة، فهو حزب ضليل في غاية من الضلال.

وأنا أتعجب ممن يتبجح بحزب التحرير، وأنصح كل أخ بالابتعاد عنه والتحذير منه، ولو لم نعتذر لهم أنهم متأولون لقلنا إنهم كفار، لأنهم ينكرون عذاب القبر، وينكرون خروج المسيح الدجال، ويقول زعيمهم: إنه لا يجب أن يعلم طلبته القرآن لئلا يخرجوا دراويش. اهـ.

الرد على الزنداني العقلاني

المدرسة الإخوانية مدرسة عقلانية فكم من حديث ردوه وكم من حكم أنكروه وكم من دليل تأولوه، وكل ذلك في سبيل الحزب وتحكيم العقل الفاسد، حتى إنني سمعت واحدا من الشيعة يقول أعجبنى كلام القرضاوي في تحكيم العقل فلو سمعت عشرين حديثا لا يوافق العقل فلا نقبله.

قال شيخنا يحيى الحجوري في الصبح الشارق [112] وقول الزنداني: أن الإسلام مبني على العقل. هذا غير صحيح فالإسلام مبني على الكتاب والسنة

لا على العقل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ووظيفة العقل في هذه الأدلة فهمها وتعقلها، فإذا كان مفقودًا ولم يفهمها ولم يعقلها وصار صاحبه في حيز المجانين فهنا يصير غير مكلف، أما أن يقال إن من مفاخر الإسلام أنه مبني على العقل فباطل لما علمت من الأدلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العقل مع النقل كالعالمي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا ولا يمكن

للعاقل أن يصير نبياً رسولاً. انظر درء تعارض العقل والنقل. (ج1 ص78)، وشرح الطحاوية. لابن أبي العز ص (201-202).

ومعنى ذلك أن العقل الصحيح يقبل النقل الصريح فهو متبع له يفهمه ويعمل به فعلاً أو تركاً.

و قال في ص (71): من كتابه المسمى بـ؟توحيد الخالق؟: إذا عرف إنسان ربه عن طريق العقل والقلب أثمرت هذه المعرفة ثماراً نافعة، ومن هذه الثمار تحرير النفس عن سيطرة الغير، ذلك لأن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت الخافض الرافع الضار النافع. ١.هـ

وفي هذا الكلام ثلاثة أخطاء:-

الخطأ الأول: قوله إذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب وهذان المصدران لا يكفيان لمعرفة الله سبحانه والإيمان كما أن الإيمان بهما توفر عند كثير من المشركين الذين غبرت بهم الأزمان وماتوا على الكفر والطغيان، ففرعون وما دونه بل وإبليس وجنوده كلهم أو جلهم ماتوا على هذا المبدأ، مبدأ معرفة الله بالعقل والقلب بيد أنهم لم ينصاعوا لنصوص الكتاب ولم يمتثلوا أوامر ونواهي رسول رب الأرباب، فماذا تحكم على من هذا حاله يا زنداني هل

هؤلاء عندك مؤمنون لكونهم عرفوا ربهم بعقولهم وقلوبهم وقالوا لله هو الخالق الرازق المحيي المميت كما تقدمت الأدلة على ذلك مثل قوله الله تعالى عنهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾؟.

والله أعلم

المحتويات

3	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
5	تعريف العقل
9	العقل السليم يدل على التلازم إلى الكتاب والسنة ومخالفة الهوى
11	باب العقل الصحيح يعرف المعروف وينكر المنكر ولا يخالف الشرع
13	باب العقل بالقلب
16	هل ثبت في العقل دليل
17	آثار السلف في فضل العقل
20	باب مخالفة القول بالفعل ليس من العقل
23	باب التوحيد هم أهل العقول هم وأهل الشرك لا محقول لهم
25	باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِثْلَ نَذِيرٍهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (١٣) [العنكبوت]
28	باب أمر الله لأهل العقول بالتقوى والبعد عن المعاصي
29	باب أهل العلم الراسلون هم أهل العقول البهيدين عن الشبهات والبدع
37	باب الأنبياء هم أهل العقول
39	ومن صفات العقلاء أنهم يستمعون فيعملون

- باب شر المخلوقات من لا يعقل أمر الله بسبب إمرائه 39
- باب الكفار لا يعقلون شيئاً 40
- أصحاب اللب هم أصحاب العقول وهم الذين يتفكرون في خلق الله 40
- باب خلق الآيات الكونية رجاء أن يعقل الناس 42
- باب بين الله آياته ليعقل الناس 42
- باب اليهود حرفوا كتابهم بعد ما عقلوه 42
- باب شر الصواب من لا يعقل 42
- باب الذكر لأهل العقول 43
- باب التفكير في مخلوقات الله من صفات محقلاء 44
- باب يبين الله لعباده آياته لعلهم يعقلون 46
- باب الاستهزاء بالدين وأهله من صفات الذين لا يعقلون 47
- باب الذين يفترون على الله الكذب لا يعقلون 47
- باب أمر الله عباده بتعقل آياته 47
- باب أمر الله عباده بالتعقل في أمر الدنيا ومعصم الفتنة بزيبتها 49
- باب أهل الدنيا لا يعقلون 50
- باب أمر الأنبياء أممهم بالتعقل 51

- 52 باب جعل الله الرحمن على من لا يعقل
- 53 باب النفي لا يسمع الحق من لا يعقل
- 53 باب جعل الله القرآن عربيا حتى يعقله الناس
- 53 باب يعلمنا الله دينه لنعقل
- 54 باب الكفار لا يعقلون
- 54 باب أكثر الناس لا يعقل توحيد الله
- 54 باب يفصل الله الآيات ويضرب الأمثال لمن يعقل
- 55 باب جعل الله حياة الإنسان أطوارا ليعقل ما أمامه
- 55 باب قلة عقل من لا يتأدب مع المعلمين
- 56 باب ضعف عقول اليهود
- 56 باب اعتراف الكفار أنهم ما كانوا يعقلون في الدنيا
- 56 باب تش أهل العقول على إقامة الحدود
- 57 باب الاعتبار لأهل العقول
- 57 باب أمر الله أهل العقول بالتقوى
- 58 باب الاعتبار لأهل العقول
- 58 باب الآيات لا ينتفع بها إلا أهل العقول السليمة

- 60 باب الذكر لأهل العقول
- 61 باب الهداية بالقرآن لأهل العقول
- 61 لا يعتبر بالقلم إلا أصحاب العقول
- 62 فصل ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ
- 63 باب اعتبار صلاة سماعي الصبي من وقت تحمله وتفهمه الكلام
- 63 باب سنن الرشيد هو سنن العقل
- 65 باب تعيين الرجل عقله
- 66 باب ضعف عقول النساء
- 69 باب حرم الخمر لأنه يذهب العقل وكل ما حرم العقل فهو حرام
- 75 باب قول عمر وعقلناها أي فهمناها
- 77 باب العلم من العقل
- 78 باب في آخر الزمان يقال: ما أعقل الرجل وهو خائف
- 79 باب أهل العقول هم من يلي الإمام في الصلاة
- 80 باب لا يصلي الإمام إلا وقب عقل الناس تسوية الصفوف
- 80 باب السؤال عن عقل من اعترف بالزنا
- 82 باب الإنسان إلى من في عقله شيء

باب ثناء لسان عليٍّ بمائشة أنها ذات العقل 82

الثواب والعقاب لا يثبت بالعقل 83

باب ذم من لا عقل له 84

باب يبقى بعد عيسى أناس لا عقول لهم 85

فصل 86

الأدلة النقلية الصحيحة التي قبلتها عقول أهل العلم والنهي، وكفرت بها عقول أهل البدع والهوى 86

آيات وأحاديث الصفات 86

التمثيل لا يوافق العقل لأن الإنسان ضعيف لا يمكن أن يدرك شيئاً بعقله وهو غائب 93

معلو ربنا تعالى يوافق العقل والنقل 95

قال حديث العريض 97

باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام 100

حديث الباب 102

حديث افتراق الأمة 114

حديث تحريم الغناء والمغازف 124

بعث البهائم ونحوها للقصاص 126

حديث السحر 127

وإنكار العقلانيين من المصريين كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده 127

كلام الإمام الوادعى رحمه الله في لزوم التحرير العقلاني 131

الرد على الزنادقة العقلاني 132